البدايات الأولى للمصطلح النقدي العربي

د. عمرو زاير*

تاريخ الإرسال: 2019/04/30	تاريخ القبول:2019/10/14	تاريخ النشر:.2019/12/25

الملخص:

تَدَرَّج النقد العربي القديم إلى أن أصبح في غاية النضج في نهاية القرن الرابع الهجري، لكنه بدأ في العصر الجاهلي في صورة ساذجة بسيطة قائمة على الذوق الشخصي، تساوقت مع النص الشعري في شكل أحكام مختصرة تُلقى من غير تعليل، فلم يكن نقد القدامى في بدايته مؤسسا على قواعد فنية، لانعدام المعايير النقدية المتعلقة بالقافية والعروض والأسس الجمالية الفنية التي يقوم عليها الشعر، ولكن رغم ما يبدو على هذه الأحكام في العصر الجاهلي من سذاجة، إلا أنها شكلت النواة الأولي لبداية المصطلح النقدي.

الكلمات المفاتيح: النقد القديم، المصطلح النقدي، البيئة العربية، الثقافة الأجنبية.

Abstract:

Ancient Arabic criticism was incorporated until it became very mature at the end of the fourth century, but it began in the pre-Islamic era, in the form of simple naivete based on personal taste, coincided with the poetic text in the form of concise provisions received without explanation, the criticism was founded On the technical rules, for lack standards related to the rhyme and performances and aesthetic foundations on which the basis of poetry, but in spite of what appears on these provisions in the pre-Islamic era of naiveté, but it formed the nucleus of the beginning of the criticism term.

المؤلف المرسل: د. عمرو زاير amarabdouzair@yahoo.fr

* جامعة البليدة2 amarabdouzair@yahoo.fr

Mots clés: *Ancienne critique, terme critique , environnement arabe, culture étrangère.*

*** *** ***

مقدمة

لقد كان الشاعر العربي القديم يقول الشعر دون قواعد قبلية تؤطر قوله، كما كان الناقد أيضا ينطلق من الموقف نفسه، إذ اكتفى بفطرته وتذوقه للشعر ليُدلي بملاحظات بسيطة، شكلت نواة لبعض المفاهيم النقدية، التي تأثرت بالبيئة التي عاشوا فيها، فقد استلهم الأصمعي الفحولة مما يحيط به في بيئته التي نشأ فيها، وهي صفة تطلق على الفحل من الإبل، ثم يُنعت بها الشعراء المكثرون والمجيدون في نظم أشعارهم، وقد أطلق القدماء بعض الأوصاف التي نُعت بها الشعراء كالمهلهل الذي سُمي مهلهلا لأنه يشبه الثوب المهلهل، كما يكون بيت الشِّعر إما مُعَدَّلا أو أَغَرَّا أو مُحَجَّلا، وكلها صفات استُمدت من الفرس، لقد نبعت من هذه البيئة بعض الألفاظ، التي كان النقاد القدامى يستعملونها عند إطلاق أحكامهم على الشعر والشعراء سواء بالاستحسان أو الاستهجان، ولم تفارق هذه العبارات معناها اللغوي الأصلي كثيرا، وقد شكَّل هذا المستوى اللغوي الأولي، رافدا هاما لظهور بعض المصطلحات النقدية التي عرفت مع الزمن نوعا من التراكم، وتكرر استعمالها عند مختلف النقاد العرب، لتستقر في الأخير كمصطلحات نقدية في المدونة النقدية العربية ، **فكيف ساهمت البيئة العربية في بناء مصطلح نقدي عربي قديم؟ وما دور الترجمة في إثرائه؟وما هي أهم المراحل التي مرّ بها ؟**

1- تأثير البيئة العربية في نشأة المصطلحات النقدية

كانت أسواق العرب ومجالسهم الأدبية فضاء هاما يُعرض فيها الشعر ويقوَّم، من ذلك ما نجده عند النابغة الذبياني في يثرب، عندما دخلها فَأُسمِع ما كان في شعره من إقواء، ومنه أيضا ما نُسِب إلى طرفة بن العبد من أنه عاب على المتلمس نعته البعير بنعوت النوق، وقصص تحكيم النابغة الذبياني في عكاظ بين الشعراء و تُعد "...هذه الألفاظ والألقاب البدايات الأولى لتَشَكُّل المصطلح..."(1) ونلاحظ أن هذه الفترة قد تميّزت بقلّة المصطلح النقدي، وغلبة معناه اللغوي على مفهومه الاصطلاحي، كما البيئة العربية هي المنبع الأساس للمصطلح، فاعتماد النقاد على بعض الأحكام اللغوية التي جرى العرف بها

عندهم، شكلت كل هذه الملاحظات النقدية أصولا للمصطلح النقدي، كما تميزت هذه المرحلة بتساوق النقد والمصطلح، فإذا كان النقد إما سابقا أو لاحقا أو متزامنا للنص الشعري، فإن المصطلح النقدي جاء دوما تابعا للنقد.

يستمر النقد في تطوره إلى بداية العصر الإسلامي[2]، و"كان ظهور الإسلام كفيلا أن يلفت انتباههم (العرب) إلى أسرار القول وأساليب التعبير، وتَطَوُر نظرتهم إلى الفن والحياة عامة..."[3]، فلما نزل القرآن الكريم أضفى على بعض الألفاظ العربية مدلولات جديدة، تختلف عن معانيها الأولى، مما أدى إلى ظهور مصطلحات جديدة بمفاهيم مختلفة، وكان النقد في هذه الحقبة يحوم حول الشعراء، والأمثلة كثيرة لهذا النقد تتمثل في صراع الفرزدق و جرير والأخطل، وما قام بينهم من معارك أدبية، وفي مجالس خلفاء بني أمية في دمشق، حيث كثر إنشاد الشعر ونقده الذي انصب حول تقويم لغة الشاعر، أو إصلاح المعاني، ثم ظهرت خصومات بشار بن برد ومسلم بن الوليد، مما شكل مجالا خصبا لظهور الكثير من المفاهيم "..التي انبثقت منها مصطلحات جديدة مستجيبة للتطور الاجتماعي واللغوي"[4] وقد تميّز نقد هذه المرحلة بظهور بعض المصطلحات، كما توجه النقاد لتعريف بعض المصطلحات بطريقة مقتضبة وغير مضبوطة.

ساهم ظهور طبقة من الرواة واللغويين والنحاة في القرن الثاني والثالث، في تطوير اللغة والنقد، فقد خضع النقد العربي القديم لمنهج اللغويين الأوائل كأبي إسحاق الحضرمي (ت 117 هـ)، وأبي عمرو بن العلاء (ت 154 هـ) والأخفش (ت 215هـ) وابن قتيبة (ت 276 هـ) الذي كان منطلقه لغويا في نقد الأبيات التالية، فأغفل ما فيها من جمال، مع حسن ألفاظها.

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسّح بالأركان من هو ... [5]

وأُحكَم النقد اللغوي سيطرته على نقد الشعر، إذ أن أغلب العلماء الذين نظروا في الشعر في هذه الفترة، كانوا علماء لغة قبل أن يكونوا نقادا أو أدباء، إذ اهتموا ببيان معاني المفردات، أكثر من اهتمامهم بالصورة الشعرية، والمعاني المبتكرة، مما يؤكد أن الفروق بين نقاد هذا القرن وسابقيهم ليست جوهرية، بل فيه تواصل للظواهر الفنية الموجودة قبل ذلك.

مارس القدماء النقد دون الإشارة إلى تسميته قبل القرن الثالث الهجري. ويعد خلف الأحمر (ت 180ه) أول من أشار إلى عملية النقد دون ذكر المصطلح، يتضح ذلك من خلال حديثه الذي يرويه ابن سلام: "قال قائل لخلف إذا سمعتُ أنا بالشعر واستحسنُه فما أبالي ما قلت أنت فيه وأصحابك، قال: إذا أخذت درهما فاستحسنته، فقال لك الصراف: أنه رديء فهل ينفعك استحسانُك إياه"(6)، واستقل النقد بالتأليف في القرن الثالث على يد مجموعة من النقاد، منهم ابن سلام الجمحي(ت 203ه) في كتابه "طبقات فحول الشعراء"، وهو أول من تحدث عن عملية النقد التي يُقوِّم بها الصيرفي النقود، وأسقطها على العملية التي يُقَوَّم بها الناقد الشعر، فظهر بعدها مصطلح النقد والناقد.

وجاءت أول إشارة للتصريح بكلمة "نقد" كمصطلح، في عنونة قدامة بن جعفر (ت337ه) لكتابه "نقد الشعر" ثم بدأ هذا المصطلح يظهر في كتب اللاحقين من النقاد والبلاغيين، وعلى الرغم من هذا التطور الذي عرفه المصطلح النقدي" إلا أنه لم يتبلور بالقدر الكافي، بل ظلَّ في معظمه فطريا يفتقد للفحص العلمي والتحليل الدقيق والتعليل لكل ما هو مستجد"(7)

2- المصطلح النقدي في القرن الرابع الهجري

وصل النقد في القرن الرابع إلى مرحلة متطورة، إذ نضجت الكثير من العلوم والفنون ومنها النقد الأدبي، الذي بدا أكثر ناضجا عند الآمدي في كتابه "الموازنة بين البحتري وأبي تمام"، وعند الجرجاني في كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه" إذ سعى كل واحد منهما إلى ترسيخ الذوق الفني السليم، عند الشاعر أو الناقد، كما شهد المصطلح النقدي بالتبعية لذلك تطورا ملحوظا، بظهور بعض النقاد الذين ساهموا في إثرائه بالتواضع تارة والخلق والابتكار تارة أخرى، كما ساهمت في تطوير المصطلحات النقدية في هذه الفترة أشهر حركتين نقديتين في تاريخ النقد العربي، دارت الأولى حول أبي تمام والبحتري وكانت الثانية حول المتنبي وخصومه، قامت الحركة النقدية الأولى حول شاعرية أبي تمام والبحتري، و يمثّل أبو تمام مذهباً شعرياً جديداً، تمرَّد فيه على عمود الشعر العربي، يقابله مذهب آخر للبحتري يمثّل التمسك بالقيم الفنية التي تمسك بها الأوائل، انقسم النقاد حولهما إلى طائفة عارضت أبا تمام، لأنه خالف عمود الشعر المألوف، وذهبت أخرى إلى قبوله لما فيه من جديد وابتكار، ونتج عن هذا الصراع تبلور نظرية عمود الشعر.

ثم قامت حركة نقدية أخرى اهتمت بالمتنبي وشعره، في هذا العصر الذي كثرت فيه السرقات الشعرية، ومن خصوم المتنبي في القرن الرابع الهجري: ابن وكيع التنيسي الذي ألف كتابه " المنصف للسارق والمسروق منه "، والحاتمي في "الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره"، والصاحب بن عباد" في الكشف عن مساوىء المتنبي " والعميدي في" الإبانة عن سرقات المتنبي. ومن أهم أنصاره في القرن الرابع نجد القاضي الجرجاني في كتابه " الوساطة بين المتنبي و خصومه" واستمرت الحركة النقدية المساندة له إلى القرن الخامس مع أبي منصور الثعالبي(ت429 هـ) في" يتيمة الدهر"، وتمثل هذه المعارك مرحلة النقد التطبيقي المنهجي، وقد حمل لواءها كل من الآمدي في كتابه "الموازنة بين الطائيين أبي تمام والبحتري" ويدرج القاضي الجرجاني ضمن هذا الاتجاه في كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه"، و تمخضت الخصومات النقدية التي دارت حول أبي تمام والبحتري والمتنبي، عن إفراز كم هائل من المفاهيم النقدية التي أسست لمصطلح نقدي عربي، ولكن عرف النقد العربي رافدا جديدا تمثل في الثقافة الأجنبية إثر الاحتكاك بثقافات الأمم الأخرى.

3- تأثر نقاد القرن الرابع بالثقافة الأجنبية

ظهر عامل التأثر بالثقافة الأجنبية في هذه الفترة خاصة اليونانية، عند قدامة بن جعفر(ت377هـ) الذي دعا للمشاركة في وضع المصطلح في كتابه فيقول: "...إني لما كنت آخذا في استنباط معنى لم يُسبق إليه، من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماء تدل عليه، احتجت أن أضع لما يظهر من أسماء اخترعتها وقد فعلت ذلك"([8]) وقد أثرى قدامة بن جعفر معجم البلاغة والنقد عند العرب بالكثير من الألفاظ، صارت فيما بعد مصطلحات نقدية، "كما استحدثت موضوعات جديدة لم تكن معروفة آنذاك، واقتضت هذه المستجدات من أصحابها أن يضعوا لها مصطلحات تعمل على توصيلها للمتلقي بصورة ميسورة"([9])، ووصلت المصطلحات في أواخر القرن الرابع الهجري إلى قمّة التطور مع قدامة والآمدي والجرجاني، حتى نتج هذا الكم الهائل من المصطلحات كحصيلة لقرون ماضية. وقد تميز المصطلح في القرن الرابع بتوسع روافده؛ فلم تعد البيئة هي الرافد الأهم في نشأة المصطلح، بل التأثر بالوافد الأجنبي شَكّل عاملا هاما ساعد على صياغة مصطلح نقدي، متأثر باصطلاحات الحضارة الأجنبية.

كما ظهر التأثير الأجنبي باحتكاك العرب بالثقافات الأجنبية، خاصة بالثقافة اليونانية، وقد كان قدامة بن جعفر من أوائل المتأثرين بأرسطو ومنهجه العقلي، الذي طبقه في كتابه "نقد الشعر" مما أدى إلى ظهور مصطلحات يظهر فيها الطابع العقلي جليا، كمصطلح الغلو مثلا، إذ يجعل قدامة مِن الكذب الفني أساس الإبداع، وقد ربط قدامة الكذب بالغلو وحدد مرجعيته في موقفه من الغلو فقال:" إن الغلو عندي أجود المذهبين، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديما. وقد بلغني عن بعضهم أنه قال: أحسن الشعر أكذبه، وكذا يرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم "([10]) وبدأ النقد النظري يظهر بلجوء النقاد لتحديد مفاهيم بعض مصطلحاتهم، إذ يعرف الجرجاني بعضها في مؤلفه "الوساطة بين المتنبي وخصومه" منها: الشعر، الأدب، السرقة... ([11]) مما أدى إلى ظهور النقد التطبيقي، ومن صوره الموازنات والخصومات، وهنا بدأ اهتمام العرب بالمصطلح النقدي يظهر أكثر فأكثر.

4- أهمية المصطلح واهتمام العرب به

يكتسي المصطلح في مختلف حقول المعرفة أهمية كبيرة، فلا يخلو أي علم من مصطلحات تؤطر مفاهيمه، إذ تَتبلور"...مفاهيم العلوم عند ولادتها في مصطلحات، وتُعبّر عن نضجها حين تنضج بمصطلحات، ولا سبيل إلى استيعاب أي علم دون فهم المصطلحات، " (12) ففي مجال العلوم عموما يؤدي الاتفاق حوله دورا هاما في كل الحقول المعرفية والفكرية، وقد أحسن علماؤنا حين جعلوا من المصطلحات مفاتيح العلوم "فإذا لم يتوفر للعلم مصطلحه العلمي الذي يعد مفتاحه، فَقَدَ هذا العلم مسوغه وتعطلت وظيفته. ومن هنا كان لا بد من تحديد الألفاظ والمفهومات"([13]) حيث إن المصطلحات هي أولى قنوات الاتصال بين مجالات العلوم البشرية، وكل غموض فيه يؤدي إلى اضطراب في استعماله، فدقة المفهوم ووضوحه ووحدته هي من أهم أسباب تحقيق استقرار المصطلح وبالتالي استقرار العلوم، وعليه فالإلمام بالمصطلحات ومعرفة مفاهيمها يعد شرطا أساسيا في إتقان العلم، إذ ليس هناك علم بدون مصطلحات تشكل رصيده الاصطلاحي.

بدأ الاهتمام بالمصطلح منذ وقت مبكر عند النقاد، منهم قدامة بن جعفر الذي يقول" فإني لما كنت آخذا في استنباط معنى لم يسبق إليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة

أسماء تدل عليها، احتجت أن أضع لما يظهر من ذلك أسماء اخترعتها، وقد فعلت ذلك والأسماء لا منازعة فيها ... "(14) فوضع المصطلح مباح للعلماء ولكل من احتاج إلى تسمية شيء ليعرفه به، ويشير قدامة إلى الوسائل التي استعان بها لوضع المصطلح، وهي الوضع والاختراع لأسماء لم يكن لها مسميات من قبل، وهو يدعو بذلك إلى الحرية في وضع المصطلح، فلا مشاحة في المصطلح. ولم يكن قدامة وحده مخترعاً للأسماء أو المصطلحات، وإنما سار على هذا النهج البلاغيون والنقاد والعروضيون، الذين اهتموا بالقضية الاصطلاحية لإقامة العلوم اللغوية خاصة، بعد أن أدركوا أن المصطلح أداة هامة لفهم العلوم، وقد تم وضعه عندهم إما باختراع أسماء لما لم يكن معروفاً كما فعل النحويون، والعروضيون، وإما إطلاق الألفاظ القديمة للدلالة على المعاني الجديدة على سبيل التشبيه والمجاز، كما في العلوم الشرعية مما استجد بعد الإسلام، وإما عن طريق التعريب بنقل الألفاظ الأجنبية إلى العربية، فبرزت مصطلحات علوم العربية كالنحو مع سيبويه، مصطلحات البديع مع ابن المعتز، وغيرها من المصطلحات التي تميَّز بها الدرس اللغوي والتي يوظفها في مجالات نشاطه، إذ أن كل علم يصطنع لنفسه من اللغة معجما خاصا به يؤدي إلى تَميُّزه على غيره من العلوم، فالمصطلح أداة البحوث العلمية، ولا غنى عنه في كل دراسة فهو "... ييسر البحث، ويرسم المعالم رسما مختصرا"(15)، وقد زاد اهتمام العرب بالمصطلح بعد حركة الترجمة التي عرفوها قديما، والتي تمّ من خلالها دخول كم هائل من المصطلحات الأجنبية إلى اللغة العربية فتوجه العلماء إلى ترجمتها.

إن نشاط وضع المصطلح في الحضارة العربية الإسلامية كان دؤوبا، إذ أثروا العربية بالكثير من المصطلحات التي أكسبت اللغة العربية توسعا في رصيدها الاصطلاحي، ويظهر كل ذلك من خلال المؤلفات التي جسدت حركة الاصطلاح العربي، نذكر على سبيل المثال كتاب "مفاتيح العلوم" للخوارزمي، و"التعريفات" للشريف الجرجاني، و"الكليات" لأبي البقاء الكفوي، و"كشاف اصطلاحات الفنون" للتهانوي وغيرها من الكتب، هذا من حيث الاهتمام بالتأليف حول المصطلح، أما من حيث إنمائه فإن العلماء العرب قد لجؤوا إلى وسائل كالاشتقاق، والمجاز، والنحت، والترجمة، والتعريب، وهي الوسائل التي رجعوا إليها عندما وضعوا بعض ألفاظهم، وهي الوسائل عينها التي تبنَّاها النقاد من أجل إثراء المصطلح النقدي.

5- مراحل وضع المصطلح عند النقاد القدامى

مرّ وضع المصطلح عند النقاد القدماء بمراحل "...فالمصطلح يُبتكر فيُوضع ويُبث ثم يُقذف في حلبة الاستعمال، فإما أن يُروج فَيَثبت، وإما أن يكسد فينمحي، فقد يُدلَى بمصطلحين أو أكثر لمفهوم واحد فتتسابق المصطلحات الموضوعة وتتنافس في سوق الرواج ثم يَحكم الاستعمال للأقوى فيستبقيه ويتوارى الأضعف"(16)

أ- مرحلة الوضع اللغوي للألفاظ

وضع العرب بطريقة ارتجالية ألفاظاً معينة، إزاء معان معينة لتؤدي مفهوماً واضحاً، و اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له اسم في لغتهم، وابتكروا له لفظاً للدلالة عليه، فقد نشأت اللغة العربية لتلبي حاجات المتكلمين بها في التعبير عن أغراضهم، وكانت في بداية نشوئها تقتصر على الألفاظ المتواضع عليها، انعكاسا لبيئة العربي، وقد استعملت الألفاظ بمعناها اللغوي الأصلي الذي وضعت له في اللغة "والكلمة حين توضع لتدل على شيء معين تسمى حقيقة... أي استعمال اللفظة في وضعها الأول بحيث لا يتبادر إلى الذهن غير ذلك عندما تطلق."(17) ففي التواضع اللغوي كان لكل لفظ معنى محدد يقابله، "فالمصطلح قبل أن يكون في صورته الجديدة كان لفظة لغوية تتحرك في حيز ضيق وتتفاعل مع جزئياته".(18) "...فأصل المصطلح هو المأخذ، أي المعنى اللغوي الذي منه جاء المفهوم الاصطلاحي وأُخِذَ".(19)

ب- المرجعية الدينية ومرحلة التحول الدلالي

تزداد الحاجة لوضع مصطلحات تساير كل مرحلة حضارية جديدة، وقد ظهرت مصطلحات جديدة بنزول القرآن، على العرب بمعجزته البيانية وهم أهل الفصاحة والبيان، فألبس ألفاظهم ثوبا جديدا، فلقد كانت العرب في الجاهلية على لغة آبائهم ولما جاء الإسلام ظهرت ألفاظ جديدة فكان على اللغة من أن تؤطر هذا الجديد، فانتقلت هذه الألفاظ من المستوى اللغوي العرفي إلى مستوى لبست فيه معان جديدة. "وأصبحت مصطلحات خاصة أضيفت إلى اللغة، وبذلك اتسعت العربية وعَبرت عن كل ما استجد بعد الإسلام من شؤون الحياة".(20)كما شكل الشعر الجاهلي والإسلامي رافدا مهما أمدَّ النقد بالكثير من المصطلحات، ومما ورد في الشعر وإبداعه، ولغته، وعيوبه، وأغراضه، "...لقد كانت هذه القضايا و التعابير التي كان يتداولها الشعراء ورواة الشعر واللغويون

والنحاة، حتى نهاية القرن الثاني هي المنبع الأول للمصطلح النقدي والبلاغي في اللغة العربية"[21]

ج- مرحلة ابتكار واختراع المصطلح

كان لعلمائنا الأوائل فضل كبير في وضع بعض المصطلحات في النحو والبلاغة بمعناها العلمي الذي نستخدمه اليوم، وإن كان يشوبها الكثير من الاضطراب والفوضى، وكان اتفاق أصحاب التخصص هو العرف السائد في نشأة المصطلح، فالمصطلح ذو طبيعة جماعية، فلا يجوز أن ينفرد شخص ما بمسألة وضع المصطلح؛ لأنه مشروط بالإجماع، إلا أن وضع بعض المصطلحات قد خالفت هذا الاتفاق مما جعل قدامة بن جعفر(ت337هـ) يدعو إلى الوضع الفردي للمصطلح وسماه بالاختراع فيقول: "...ومع ما قدمته فإني لما كنت آخذا في استنباط معنى لم يُسبق إليه من يصنع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماء تدل عليه، احتجت أن أضع لما يظهر من ذلك أسماء اخترعتها، وقد فعلت ذلك والأسماء لا منازعة فيها إذ كانت علامات، فإن قنع بما وضعت وإلا فليخترع لها من أبى ما وضعته منها ما أحب فليس ينازع في ذلك."[22] و الاختراع وسيلة من الوسائل التي استخدمها العرب، في التعبير عما لم يكن معروفا من العلوم والصناعات.

د- مرحلة الاتفاق حول وضع المصطلح

يعطي الاتفاق على وضع مصطلح معين المصطلح اصطلاحيته، فيخرج من أصله اللغوي، إلى مفهومه الاصطلاحي، وأن إقراره من طرف أهل الاختصاص يعطيه شرعية التداول، فقبل هذا الاتفاق يكون المصطلح في الوضع الوسط بين اللفظ اللغوي والمصطلح، فالاتفاق يُكسب المصطلح صفته الاصطلاحية، وفي غيابه نكون أمام مفهوم غامض، فشرط الاتفاق هو الذي يضمن استقرار دلالة المفهوم، فبتحقيقه يدخل حيز الاصطلاح، فقبل الاتفاق نكون أمام المفهوم، ومع حصوله نكون أمام مصطلح، ويمر المصطلح عبر هذه المراحل المتتالية إلى أن يصل إلى مرحلة الاستقرار، فليس المهم إطلاق التسمية على المسميات بل الأهم من ذلك هو شيوعها وانتشارها، فالاستعمال هو المحك الذي يُحكَم من خلاله على المصطلح، فإن استقرت هذه التسمية تحولت إلى مصطلح، أما إذا لم يثبت مدلولها أدى ذلك إلى زوال المسمى، فالتداول والاستخدام والشيوع هي المحددات الرئيسية لدلالة المفهوم أو المصطلح، إذ "يُسهم الاستعمال في رواج المصطلح

وانتشاره، فالمصطلح يُبتكر ثم يقذف إلى حلبة الاستعمال فإما أن يروَّج ويثبت، وإما أن يكسد ويزول، إذ تسابق مصطلحان في سوق الرواج ثم يَحكم الاستعمال للأقوى ويتوارى الأضعف".([23])إن اكتساب المصطلحات لدلالات جديدة ورواج المصطلح الأقوى وزوال المصطلح الأضعف مرهون ب"...تركيبة المصطلح في حد ذاته من حيث تآلف أصوله وانسجامها والابتعاد عن النشاز الإيحائي، واللبس الذي يعتري المصطلح نتيجة لذلك الاشتراك الدلالي حتى لا يؤول إلى النفور فتكون نتيجته الحتمية عدم الرواج، "إن دخول المصطلح ميدان الاستعمال واستمراره فيها، وببقاء المصطلح مستعملا تزداد قوته الاصطلاحية، ويزداد رسوخه في الجهاز المصطلحي للعلم أو الفن([24])، وبهذا يكون "... صدق المصطلحية عليه (المصطلح)في جميع مراحله أمر بديهي إلا أنها في مرحلة الرواج أصدق."([25]) وعليه يصبح المصطلح هو الكلمة التي خصَّها الاستعمال في علم من العلوم بمفهوم معين، وشاع استعماله بها، فيستقر المصطلح و تثبت هويته الاصطلاحية، فيخرج من نطاق اللغة العامة ليصبح لغة خاصة، باعتباره آلية من آليات التواصل المعرفي بين أهل الاختصاص، لا يستخدمه عامة الناس. و ضمانا لاستقراره وديمومته، توحدت المعايير المتحكمة في وضعه وصياغته ووضعت شروط منها:

. ألا يتطابق المفهوم الاصطلاحي مع المعنى اللغوي للكلمة انطباقا كليا.

. ضرورة وجود علاقة بين المدلول اللغوي، والمفهوم الاصطلاحي كالتشابه أو الاشتراك.

. الاكتفاء بلفظة واحدة للدلالة على معنى واحدا، وألا تتعدد الألفاظ للمعنى الواحد، أو تتعدد المعاني للفظ واحد تجنبا للاشتراك المصطلحي.

وهي شروط تُجنِّب المصطلح في أي علم كان الاضطراب والفوضى، الناتجين عن عدم تحديد المفاهيم، وتضمن له الانتشار والديمومة.

خاتمة

المصطلح لغة عالمية، إنه ملتقى الثقافات الإنسانية، فهو وسيلة لغوية ثقافية للتقارب الحضاري بين الأمم المختلفة، إذ يلعب دورا هاما في تقريب المفاهيم وتوحيدها، فلا يقتصر دوره على ضبط المفاهيم وتوضيح الدلالات فقط، بل يوحد الرؤى كذلك، كما يعد المصطلح مقياسا لرقي الأمة وتقدمها الحضاري، لقد توصل القدماء إلى أن مفاتيح

العلوم مصطلحاتها، وما يلاحظ أن مصطلحات العلوم التطبيقية تتسم بنوع من الاستقرار، مقارنة بالمصطلحات النقدية التي تمر بمراحل تاريخية طويلة حتى تستقر بمفاهيم محددة.

الهوامش:

[1] - حبيبة طاهر مسعودي، قراءة جديدة للمصطلح في التراث النقدي العربي من العصر الجاهلي إلى القرن الثالث الهجري، مكتبة وهبة القاهرة، ط1، 2008، ص153.

[2] - العصر الإسلامي تاريخيا يبدأ من البعثة المحمدية إلى قيام الدولة الأموية، لكننا أدمجناهما لأن الفصل بينهما هو فصل عملي تقتضيه الدراسة، أما فنيا فالظواهر النقدية والأدبية فيها استمرارية نسبية في الفترتين.

[3] . بن محجوب محجوب، المرجعية في التراث النقدي العربي، إصدارات مخبر اللغة العربية وآدابها جامعة سعد دحلب البليدة،(د ط)(د ت)،ص26.

[4] - حبيبة طاهر مسعودي، المرجع نفسه، ص159.

[5] - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف،(دط)(دت).

[6] - أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي، المصدر نفسه ص7.

[7] - حبيبة طاهر مسعودي، المرجع نفسه، ص163.

[8]- أبو الفرج قدامة بن جعفر، المصدر نفسه، ص78.

[9]- حبيبة طاهر مسعودي، المرجع السابق، ص 163.

[10] - قدامة بن جعفر، المصدر نفسه، ص68.

[11] - أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، المصدر نفسه، ص 27،29، 174.

[12] - البوشيخي الشاهد، دراسات مصطلحية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 2012، ص44.

[13] - محمد عزام، المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، دار الشروق العربي، بيروت(دط) (دت)، ص 7.

[14] - أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق وتعليق د محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ص 68.

[15] - مصطفى ناصف، النقد العربي نحو نظرية ثانية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،(دط) 2000، ص10.

[16] - عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات عربي- فرنسي فرنسي- عربي، (مقدمة في علم المصطلح)، الدار العربية للكتاب، تونس، (د ط) 1984، ص87.

[17] - مطلوب أحمد، بحوث مصطلحية، ص 125.

[18] - حبيبة طاهر مسعودي، المرجع نفسه، ص34.

[19] - البوشيخي الشاهد، مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين قضايا ونماذج، ص67.

[20] - مطلوب أحمد، بحوث مصطلحية، ص 126.

[21] - البوشيخي الشاهد، مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيّن للجاحظ، ص10.

[22] - قدامة بن جعفر، المصدر نفسه، ص 68.

[23] - المسدي عبد السلام، المرجع نفسه، ص27.

[24] - البوشيخي الشاهد، مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين قضايا ونماذج، ص77.

25 - البوشيخي الشاهد، المرجع السابق، ص 57.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊